

شرح

حَمَائِدُ ابْنِ أَبِي قَلَوْبٍ

فضيلة الشيخ

أ. د. عبد الله بن عبد الرحمن بن حسين بن البخاري

حفظه الله



miraath.net

ميراث النبيا

Miraath.Net

قام بها فريق التفريغ بموقع ميراث الأنبياء

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

يسر موقع ميراث الأنبياء أن يُقدم لكم

تسجيلاً لدرسٍ في شرح:

حائيتُه ابن أبي داوود - رحمه الله تعالى -

ألقاه

فضيلة الشيخ الأستاذ الدكتور:

عبد الله بن عبد الرحيم البخاري

- حفظه الله تعالى -

بداية من يوم السبت السابع والعشرين من شهر ذي القعدة عام ١٤٤١ هجرياً

إلى يوم الخميس الثاني من شهر ذي الحجة، بجامع الخندق بالمدينة النبوية.

نسأل الله - سبحانه وتعالى - أن ينفع به الجميع.

المدرسُ الخاصُّ

بسم الله الرحمن الرحيم، الحمد لله رب العالمين، وصل الله وسلم وبارك على رسوله
الأمين وعلى آله وصحبه وسلم.

وبعد:

لا زلنا في شرح البيت العاشر وهو قول الناظم:

المتن:

وَقَرَيْتُكَرَّ الْجَهَنَّمِيِّ أَيْضًا يَمِينَهُ وَكَلَّمْنَا يَرِيهَ بِالْفَوَاضِلِ تَنْفَعُ

الشرح:

وتكلمنا بالأمس في الوجه الأول المتعلق بهذا البيت وما بعده، وذكرت أن من قواعد أئمة
العلم وأهل السنة: تقديم النقل على العقل.

نأتي إلى الوجه الثاني المتعلق بهذه المسألة أو هذا الباب.

*** الوجه الثاني:**

اعلم -بارك الله فيك- أن أهل الأهواء لا يُميزون اعتقاد السلف عن غيره؛ بل لربما لم يعرفوه
سواءً كان ذلك في أبواب الشرع عامةً، أو في أبواب الاعتقاد خاصة مع أن طريقة السلف هي
أسلم وأعلم وأحكم.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية -رحمه الله- وهو يَصِفُ طريقة السلف -رضوان الله تعالى

عليهم- في هذا؛ وذلك في كتابة: درء تعارض النقل والعقل؛ قال: "ومن تدبر كلام أئمة السنة

ببركات الأنبياء

المشاهير في هذا الباب عِلْم أنهم كانوا أدقَّ الناس نظرًا، وأعلم الناس في هذا الباب بصحيح المنقول وصریح المعقول، وأن أقوالهم هي الموافقة للمنصوص والمعقول؛ ولهذا تأتلف ولا تختلف "تأتلف" "تأتلف" يعني: أقوالهم ولا تختلف، "ولهذا تأتلف ولا تختلف، وتتوافق ولا تتناقض، والذين خالفوهم خالفوا طريقة السلف، وخالفوا أئمة السنة، لم يفهموا حقيقة أقوال السلف والأئمة، فلم يعرفوا حقيقة المنصوص والمعقول؛ فتشعبت بهم الطُّرق وصاروا مختلفين في الكتاب، مخالفين للكتاب، وقد قال الله -تعالى-: ﴿وَإِنَّ الَّذِينَ اٰخْتَلَفُوا فِي الْكِتَابِ لَفِي شِقَاقٍ بَعِيدٍ﴾ البقرة: ١٧٦، قال: "ولهذا قال الإمام أحمد في خطبته فيما أخرجها في الرد على الجهمية والزنادقة" ثم ذكر كلام الإمام أحمد -رحمه الله- في مقدمة كتابه المذكور.

• الوجه الثالث:

هذا البيت متعلِّقٌ بصفه من صفات الله -جل وعلا- وهي: صفة اليمين؛ وهذه الصفة هي من جملة ما أنكرته الجهمية من صفات الله -جل وعلا-، هذه الصفة من صفات الله -تعالى- الذاتية الخبرية، أثبتها الله -تعالى- لنفسه في كتابه العزيز، وأثبتها له رسوله -صلى الله عليه وسلم-، وأجمع عليها سلف الأمة الصالح؛ لذا يجب الإيذان بها وإثباتها لله -تعالى- على ما يليق به -جل وعلا- من غير تحريفٍ ولا تعطيلٍ، ومن غير تكييفٍ ولا تمثيلٍ.

من أدلتها في القرآن الكريم:

قول الله -جل وعلا-: ﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ يَدُ اللَّهِ مَغْلُولَةٌ غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلُعِنُوا بِمَا قَالُوا بَلْ يَدَاهُ

مَبْسُوطَتَانِ يُنْفِقُ كَيْفَ يَشَاءُ﴾ المائدة: ٦٤.

وقال -جل وعلا-: ﴿قَالَ يَا إِبْلِيسُ مَا مَنَعَكَ أَنْ تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِإِيدِي أَسْتَكْبَرْتَ أَمْ كُنْتَ مِنَ

الْعَالِينَ ﴿٧٥﴾ ص: ٧٥، في آياتٍ عدة من كتاب الله -جل وعلا-.

وفي الصحيح عند مسلم من حديث أبي هريرة -رضي الله تعالى عنه- أن النبي -عليه الصلاة والسلام- قال: «اِحْتَجَّ آدَمُ وَمُوسَى -عَلَيْهِمَا السَّلَامُ- عِنْدَ رَبِّهِمَا، فَحَجَّ آدَمُ مُوسَى، قَالَ مُوسَى: أَنْتَ آدَمُ الَّذِي خَلَقَكَ اللَّهُ بِإِيْدِهِ وَنَفَخَ فِيكَ مِنْ رُوحِهِ» فهنا موسى -عليه السلام- يُثبت هذه الصفة لله -جل وعلا- في خلقه لآدم، والحديث في الصحيحين من حديث أبي هريرة -رضي الله تعالى عنه- قال -عليه الصلاة والسلام-: «اِحْتَجَّ آدَمُ وَمُوسَى، فَقَالَ مُوسَى: يَا آدَمُ أَنْتَ أَبُوْنَا خَيْبَتَنَا وَأَخْرَجْتَنَا مِنَ الْجَنَّةِ، فَقَالَ لَهُ آدَمُ: أَنْتَ مُوسَى؛ اصْطَفَاكَ اللَّهُ بِكَلَامِهِ، وَخَطَّ لَكَ بِإِيْدِهِ، أَتَلُوْمُنِي عَلَى أَمْرِ قَدَرَهُ اللَّهُ عَلَيَّ قَبْلَ أَنْ يُخْلِقَنِي بِأَرْبَعِينَ سَنَةً؟ فَقَالَ النَّبِيُّ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: فَحَجَّ آدَمُ مُوسَى، فَحَجَّ آدَمُ مُوسَى» هذا هو اللفظ في الصحيحين، واللفظ الذي تقدم عند مسلم.

وفي حديث الشفاعة في الصحيحين من حديث أنس -رضي الله تعالى عنه-؛ الحديث الطويل، قال -عليه الصلاة والسلام-: «يَجْتَمِعُ الْمُؤْمِنُونَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَيَقُولُونَ: لَوْ اسْتَشْفَعْنَا إِلَى رَبِّنَا، فَيَأْتُونَ آدَمَ فَيَقُولُونَ: أَنْتَ أَبُو النَّاسِ، خَلَقَكَ اللَّهُ بِإِيْدِهِ، وَأَسْجَدَ لَكَ مَلَائِكَتُهُ» الحديث.

وفي صحيح مسلم أن النبي -عليه الصلاة والسلام- قال: «إِنَّ اللَّهَ -عَزَّ وَجَلَّ- يَبْسُطُ يَدَهُ بِاللَّيْلِ لِيَتُوبَ مُسِيءُ النَّهَارِ، وَيَبْسُطُ يَدَهُ بِالنَّهَارِ لِيَتُوبَ مُسِيءُ اللَّيْلِ، حَتَّى تَطْلُعَ الشَّمْسُ مِنْ مَغْرِبِهَا» وهذا الحديث عند مسلم كما مرَّ من حديث أبي موسى -رضي الله تعالى عنه-.

سيرات النبيا

قال الإمام الترمذي - رحمه الله - في الجامع عقب أن أسند حديثاً: أن النبي - عليه الصلاة والسلام - قال: «إِنَّ اللَّهَ يَقْبَلُ الصَّدَقَةَ وَيَأْخُذُهَا بِيَمِينِهِ، فَيَرَبِّيَهَا لِأَحَدِكُمْ» الحديث.

قال عَقِبُهُ: "وقد قال غير واحدٍ من أهل العلم في هذا الحديث وما يُشبهه هذا من الروايات من الصفات، ونزول الرب - تبارك وتعالى - كل ليلةٍ إلى السماء الدنيا، - قالوا - : قد تثبت الروايات في هذا ويؤمنُ بها ولا يتوهم ولا يُقال: كيف؟" كيف هذا؛ يعني: كيف هذه الصفة يقصدوا، قال: "هكذا روي عن مالك، وسفيان بن عيينة، وعبد الله بن المبارك أنهم قالوا في هذه الأحاديث - أحاديث الصفات - : أمرؤها بلا كيف، وهكذا قول أهل العلم من أهل السنة والجماعة"،

يقول الإمام الترمذي - رحمه الله - : "وأما الجهمية فأنكرت هذه الروايات وقالوا: هذا تشبيهٌ، وقد ذكر الله - عز وجل - في غير موضعٍ من كتابه: اليد والسمع والبصر، فتأولت الجهمية هذه الآيات؛ ففسروها على غير ما فسر أهل العلم وقالوا: إن الله لم يخلق آدم بيده، وقالوا: إن معنى اليدِ هنا: القوة"،

قال: "وقال: إسحاق بن إبراهيم: إنما يكون التشبيه إذا قال: يدٌ كيدٍ، أو مثل يدٍ، أو سمعٌ كسمعٍ، أو مثلُ سمعٍ، فإذا قال: سمعٌ كسمعٍ، أو مثلُ سمعٍ؛ فهذا التشبيه، وأما إذا قال كما قال الله - تعالى - : يدٌ وسمعٌ وبصرٌ، ولا يقول: كيف، ولا يقول: مثلُ سمعٍ، ولا كسمعٍ؛ فهذا لا يكون تشبيهاً، وهو كما قال الله - تعالى - في كتابه: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ ﴿١١﴾ الشورى: ١١"، انتهى كلام الإمام الترمذي من جامعه.

وقال الإمام ابن خزيمة - رحمه الله - في التوحيد: "باب ذكر إثبات اليد للخالق الباري - جل وعلا -، والبيان أن الله - تعالى - له يدان كما أعلمنا في محكم تنزيله؛ أنه خلق آدم - عليه السلام - بيديه؛ قال الله - عز وجل - لإبليس: ﴿مَا مَنَعَكَ أَنْ تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِإِيْدِي﴾ ص: ٧٥، وقال - جل وعلا -

تكذيبًا لليهود حين قالوا: ﴿يَدُ اللَّهِ مَغْلُولَةٌ﴾ فكذبهم في مقالتهم، وقال: ﴿بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ يُنفِقُ كَيْفَ يَشَاءُ﴾ المائدة: ٦٤، أعلمنا أن: ﴿وَالْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَالسَّمَاوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ﴾ الزمر: ٦٧، و﴿يَدُ اللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ﴾ الفتح: ١٠، انتهى كلامه -رحمه الله-.

وسرد الإمام ابن خزيمة -رحمه الله- تحت هذا التبويب جملة من الآيات العديدة في هذا، ثم قال -بعد أن ذكر الآيات- قال: "باب ذكر البيان من سنة النبي -عليه الصلاة والسلام- على إثبات يد الله -عز وجل- موافقًا -أي: حديثه- لما تَلَوْنَا من تنزيل ربنا لا مخالفًا، قد نزه الله نبيه، وأعلى درجته، ورفع قدره على أن يقول إلا ما هو موافق لما أنزل الله عليه من وحيه"، ثم أسند أحاديث عدة عنه -عليه الصلاة والسلام- في ذلك.

قال الإمام الإسماعيلي أبو بكرٍ في اعتقاد أهل السنة: "ويعتقدون -أي: أهل السنة- أن الله تعالى خلق آدم بيديه، ويداه مبسوطتان ينفق كيف يشاء بلا اعتقاد كيف يداه؛ إذ لم ينطق كتاب الله فيه بكيف" انتهى.

★ الوجه الرابع:

قول الناظم هنا: "وَكَلَّمَا يَدَيْهِ بِالْفَوَاضِلِ تَنْفَحُ"

هذا اقتباسٌ منه من حديث عبد الله بن عمرو -رضي الله تعالى عنه- في صحيح مسلم في قول النبي -عليه الصلاة والسلام-: «إِنَّ الْمُقْسِطِينَ عِنْدَ اللَّهِ عَلَى مَنَابِرٍ مِنْ نُورٍ عَنِ يَمِينِ الرَّحْمَنِ -عَزَّ وَجَلَّ-، وَكَلَّمَا يَدَيْهِ يَمِينٌ، الَّذِينَ يَعْدِلُونَ فِي حُكْمِهِمْ وَأَهْلِيهِمْ وَمَا وُلُّوا».

وهنا أُنبّه على أمر يتعلق بهذا أيضًا؛ أقول: جاء في حديث عبد الله بن عمر -رضي الله تعالى عنهما- في صحيح مسلم أيضًا أن النبي -عليه الصلاة والسلام- قال: «يَطْوِي اللَّهُ -عَزَّ وَجَلَّ-

وَجَلَّ - السَّمَوَاتِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، ثُمَّ يَأْخُذُهُنَّ بِيَدِهِ الْيُمْنَى، ثُمَّ يَقُولُ: أَنَا الْمَلِكُ، أَيَّنَ الْجَبَّارُونَ؟
أَيَّنَ الْمُتَكَبِّرُونَ؟ ثُمَّ يَطْوِي الْأَرْضِينَ بِشِمَالِهِ، ثُمَّ يَقُولُ: أَنَا الْمَلِكُ أَيَّنَ الْجَبَّارُونَ؟ أَيَّنَ
الْمُتَكَبِّرُونَ؟».

حديث عبد الله بن عمرو: «وَكَلَّمْنَا يَدَيْهِ يَمِينًا»، حديث عبد الله بن عمر فيه ذِكْرُ الْيَمِينِ،

ثم قال: «ثُمَّ يَطْوِي الْأَرْضِينَ بِشِمَالِهِ» فيه ذِكْرُ الشِّمَالِ؛ فهل بين الحديثين من تعارضٍ؟

قبل أن أقول نعم أو لا ، ثمة تمهيد يجب أن تعرفه ؛ جواباً على هذا الإيراد أقول :

◀ اعلم أن الجميع من أهل العلم - أهل السنة - متفق؛ الجميع متفقٌ على إثبات صفة

اليد لله - تعالى - أو صفة اليدين لله - تعالى -؛ هذه نقطة.

◀ النقطة الثانية:

أن الجميع أيضاً متفقٌ على إثبات اليمين لله - تعالى -.

◀ بقيت الأخرى وهي الشمال:

فلاهل العلم في ما جاء في الحديثين؛ لهم مسلكان:

← **المسلك الأول: الجمع:**

مسلك الجمع بين هذين الحديثين الذي ظاهرهما التعارض، فنحا جماعة من أهل العلم؛

كالدارمي، وأبي يعلى، وغيرهم من العلماء، ومن المتأخرين سماحة الإمام عبد العزيز بن باز

وغيرهم أن هذا ذكرها: «وَكَلَّمْنَا يَدَيْهِ يَمِينًا»، وذكر ذلك من باب الأدب؛ وأنه لا نقص فيها، ولو

ذكرت الشمال كما جاءت الرواية عند أبي داؤود بلفظ: «بِيَدِهِ الْأُخْرَى»، فذكر الشمال لا يعني

ذلك نقصًا؛ لا تشبيه في هذا الباب ولا تمثيل: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ (الشورى: ١١١)،
تُثبت الصفات على ما يليق بجلاله، صفاته - سبحانه وتعالى - كمالٌ.

فقد سُئل سماحة الإمام عبد العزيز بن باز - رحمه الله - عن هذين الحديثين؛ وهل بينهما
تعارض؟

فأجاب؛ قال: "كلها أحاديث صحيحة عند علماء السنة، حديث ابن عمر مرفوعٌ صحيح
وليس موقوفًا - الذي فيه ذكر الشَّمال - ليس موقوفًا، وليس بينها اختلاف بحمد الله، فالله -
سبحانه وتعالى - توصف يداه باليمين والشمال من حيث الاسم؛ كما في حديث ابن عمر، وكلاهما
يمينٌ مباركة من حيث الشرف والفضل؛ كما في الأحاديث الصحيحة الأخرى".

هذا وجهٌ ومسلكٌ لأهل العلم.

← **المسلك الثاني: الترجيح:**

بحيثُ رَجَحَ أهل العلم حديث ابن عمرٍ على لفظة ذكر الشمال في حديث ابن عمر؛
وهذا مسلكٌ جَمَعَ من أهل العلم كابن خزيمة، والبيهقي، ومن المعاصرين العلامة الألباني
وغيرهم.

والسبب في هذا: أن ذكر لفظ الشَّمال تفرد بها: عُمر بن حمزة عن سالم عن عبد الله بن
عمر؛ وهذا الحديث قد رواه جماعةٌ عن ابن عمر كنافع، وعبيد الله بن مِقْسَم عن ابن عمر
وغيرهم أيضًا؛ ذكروا هذا الحديث ولم يذكروا فيه لفظ الشَّمال، فقالوا: "هذه لفظة منكورة".

وفي كل حال هما مسلكان لأهل العلم في هذا، ولا شك أن الجمع أولى من الترجيح،

والله أعلم.

ميراث النبيا

المتن:

قال الناظر رحمه الله تعالى وغفر الله له ولشيخنا ولوالدينا وللحاضرين والمسلمين:

وَقُلْ يَنْزِلُ الْجَبَّارُ فِي كُلِّ لَيْلَةٍ
إِلَى طَبَقِ الرَّثِيَا يَمْدُنُ بِفَضْلِهِ
يَقُولُ أَلَا مُسْتَعْفِرٌ يَلْقَى غَافِرًا
رَوَى ذَلِكَ قَوْمٌ لَمْ يَرَوْا حَرِيثَهُمْ

بَلَا كَيْفَ جَلَّ الدَّوَابُّ الْمُتَمَرِّجُ
فَتَفْرَجُ أَبْوَابُ السَّمَاءِ وَتَفْتَحُ
وَسُتَمْنَعُ حَيْرًا وَرِزْقًا فَيَمْنَعُ
أَلَا خَابَ قَوْمٌ كَرَّبُوهُمْ وَتَبَّحُّوا

الشرح:

هذه الأبيات: الكلام عليها، وبيان معناها من وجوه:

* الوجه الأول:

أنها أبياتٌ متعلقة بصفة النزول؛ بصفة نزول الله -جل وعلا-، والقول في هذه الصفة له -سبحانه وتعالى- كالقول في بقية الصفات مما سبق ذكره وبيانه.

فالقاعدة في هذا الباب؛ قاعدة مطردة لا تتخلف: فثبت لله -جل وعلا- ما أثبتته الله -سبحانه وتعالى- لنفسه في كتابه، وما أثبتته له رسوله -صلى الله عليه وسلم- في سنته الثابتة، من غير تشبيه ولا تمثيل، ومن غير تكييف ولا تعطيل؛ إثباتاً يليق بجلاله -جل وعلا-.

جاء في مسائل الإمام أحمد من رواية حرب الكرماني عنه؛ فيما ينقله عن أئمة العلم من

أهل السنة أنهم يقولون: "وينزل -سبحانه وتعالى- كل ليلة إلى السماء الدنيا كيف شاء وكما

سيرات الأنبياء

شاء: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ الشورى: ١١؛ هي قاعدة يستدل بها أئمة السنة؛ أحمد وغير أحمد في هذا الباب.

وأسند الحافظ ابن البناء في الأصول المجردة أن الفضيل بن عياض - رحمه الله - قال: "إذا قال لك الجهمي: "أنا أكفر برب ينزل"، قال الفضيل: "فقل: "أنا أؤمن برب يفعل ما يشاء"؛ وهذا ذكره أيضا الإمام ابن تيمية - رحمه الله - في الدرء، وابن القيم في «اجتماع الجيوش الإسلامية»؛ نقلوا كلام الإمام الفضيل مُقَرِّين له ومُستدَلِّين به.

وأسند أيضا ابن البناء عن الإمام يحيى بن معين أنه قال: "إذا قال لك الجهمي: "كيف ينزل"؟ فقل: "كيف يصعد؟" لن يكون عنده جواب ولن يكون عنده جواب؛ لا في الأولى ولا في الثانية، إذا يجب التسليم والإيمان.

وأسند هذا أيضا عن الإمام يحيى بن بطة في الإبانة، وهو كذلك في العلو للذهبي - رحمه الله تعالى - أجمعين.

★ الوجه الثاني:

هذه الصفة؛ صفة النزول من صفات الله - تعالى - الفعلية الخبرية؛ وهي ثابتة بالسنة الصحيحة عن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وأجمعت عليها الأمة.

ففي الصحيحين أن النبي -عليه الصلاة والسلام- قال: «يَنْزِلُ رَبُّنَا -تَبَارَكَ وَتَعَالَى- كُلَّ لَيْلَةٍ إِلَى السَّمَاءِ الدُّنْيَا، حِينَ يَبْقَى ثُلُثُ اللَّيْلِ الْآخِرِ فَيَقُولُ: مَنْ يَدْعُونِي فَأَسْتَجِيبَ لَهُ، مَنْ يَسْأَلُنِي فَأُعْطِيَهُ، مَنْ يَسْتَغْفِرُنِي فَأَغْفِرَ لَهُ».

قال الإمام الإسماعيلي -رحمه الله- في اعتقاد أهل السنة ذاكراً اعتقاد أئمة السنة وعلماؤها: "أنهم يعتقدون أنه -جل وعز- ينزل إلى السماء على ما صحَّ به الخبر عن رسول الله -صلى الله عليه وسلم- بلا اعتقاد "كيفٍ فيه" كيفية النزول؛ يعني: نزول يليق بجلاله -جل وعلا-، كما تُثبت السمع له سمعاً يليق بجلاله، وكذلك البصر يليق بجلاله، فاثبت النزول له بجلاله؛ بما يليق بجلاله -جل وعلا-.

وقال الإمام ابن خزيمة -رحمه الله- في التوحيد: "باب ذكر أخبار ثابتة السند، صحيحة القوام رواها علماء الحجاز والعراق عن النبي -صلى الله عليه وسلم- في نزول الرب -جل وعلا- إلى السماء الدنيا كل ليلة، "نَشَهُدُ شَهَادَةً مُقَرَّبَةً لِسَانِهِ، مُصَدِّقٍ بِقَلْبِهِ، مُسْتَيْقِنٍ بِمَا فِي هَذِهِ الْأَخْبَارِ مِنْ ذِكْرِ نَزُولِ الرَّبِّ مِنْ غَيْرِ أَنْ نَصِفَ الْكَيْفِيَّةَ" لماذا؟ قال: "لأن نبينا المصطفى -صلى الله عليه وسلم- لم يصف لنا كيفية نزول خالقنا إلى سماء الدنيا، أعلمنا أنه ينزل، والله -جل وعلا- لم يترك ولا نبيه -عليه الصلاة والسلام- بيان ما بالمسلمين الحاجة إليه من أمر دينهم، فنحن قائلون -يعني: بالنزول- مصدقون بما في هذه الأخبار من ذكر النزول، غير متكلفين القول بصفته أو بصفة الكيفية -يعني: كيفية أو صفة النزول- إذ النبي -صلى الله عليه وسلم- لم يصف لنا كيفية النزول". كل هذا في تبويب الباب؛ وهذا فقهٌ عظيمٌ ودقيقٌ.

قال الإمام الصابوني -رحمه الله- في عقيدة السلف من أصحاب الحديث: "ويثبت أصحاب الحديث نزول الرب -سبحانه وتعالى- كل ليلة إلى السماء الدنيا من غير تشبيه له بنزول المخلوقين، ولا تمثيل ولا تكييف، بل يثبتون ما أثبتته رسول الله -صلى الله عليه وسلم- وينتهون فيه إليه، ويُمرُّون الخبر الصحيح الوارد بذكره على ظاهره، ويَكُون علمه إلى الله" نثبت الصفة، أما كيفية ذلك فأمره إلى الله -تعالى-.

* الوجه الثالث:

قول الناظم -رحمه الله-: "رَوَى ذَلِكَ قَوْمٌ لَا يُرَدُّ حَدِيثُهُمْ إِلَّا خَابَ" إلى آخره.

قال الإمام ابن القيم -رحمه الله- كما في مختصر الصواعق: "إن نزول الرب -تبارك وتعالى- إلى سماء الدنيا؛ قد تواترت الأخبار به عن رسول الله -صلى الله عليه وسلم-؛ رواه عنه نحو ثمانية وعشرين نفساً من الصحابة"، قال: "وهذا يدلُّ على أنه كان يُبَلِّغُهُ في كل موطنٍ ومَجْمَعٍ"،

يعني: يُبَلِّغُ النبي -عليه الصلاة والسلام- خبر نزول الله -جل وعلا- كل ليلة؛ ولهذا تعدد هذا العدد الكثير: ثمانٍ وعشرين من أصحاب رسول الله -عليه الصلاة والسلام-، هذه الكثرة تدل؛ يقول: "على أنه كان يُبَلِّغُهُ في كل موطنٍ ومَجْمَعٍ"، إذا ما اجتمعت الأقسام والناس بيّن ذلك و حَدَّثَ به -صلى الله عليه وسلم-.

قال الإمام الدارمي -رحمه الله- في رده على الجهمية: "هذه الأحاديث قد جاءت كلها وأكثرُ

منها في نزول الرب -تبارك وتعالى- في هذه المواطن، وعلى تصديقها والإيمان بها -اسمع ماذا يقول الدارمي: - "أدركنا أهل الفقه والبصر من مشايخنا لا ينكرها منهم أحدٌ ولا يمتنع من روايتها".

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الكل مؤمنٌ مصدقٌ مثبتٌ ويروي، قال: "حتى ظهرت هذه العصابة" عصابة الجهمية وأفراخهم، "حتى ظهرت هذه العصابة فعارضت آثار رسول الله -صلى الله عليه وسلم- بردٍ وتشمروا لدفعها بجدٍ"

أهل الباطل يستميتون في الانتصار لباطلهم، فلماذا أهل الحق في ضعف؟! لماذا يضعفون؟!!

أيتمثلون قول القائل: "أشكو إلى الله جلد الفاجر وضعف المؤمن" معك الحق، معك الهدى، معك الرشاد، معك العلم الصحيح، انتصر له واصبر على الأذى فيه، كل ذلك بعلمٍ وعدلٍ، ونصر الله قريب: ﴿فَإِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا﴾ إِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا ﴿٦﴾ الشرح: ٥-٦؛ لا يغلبُ عسرٌ يسرين، قال: "فعارضت آثار رسول الله -صلى الله عليه وسلم- بردٍ وتشمروا لدفعها بجدٍ، فقالوا: كيف نزوله هذا؟ قلنا: لم نكلف معرفة كيفية نزوله في ديننا، ولا تعقله قلوبنا، وليس كمثله شيء من خلقه فنشئ منه فعلاً أو صفة بفعالهم وصفاتهم، ولكن ينزل بقدرته، ولطف ربوبيته، كيف يشاء، فالكيف منه غير معقول، والإيمان بقول رسول الله -صلى الله عليه وسلم- في نزوله واجب، ولا يُسئل الرب عما يفعل كيف يفعل؟ وهم يُسألون؛ لأنه قادر على ما يشاء أن يفعله كيف يشاء."، انتهى كلامه -رحمه الله-.

ظهور هذه العصابات من أهل البدع في كل عصرٍ ومصر، لم تنته الجهمية بذهاب تلك القرون، بقي أفراخهم، لكل قومٍ وُراتٍ يحيون البدع بأشكال جديدة وألبسة وأغلفة جديدة، نعوذ بالله من البدع وأهلها.

المتن:

قال - رحمه الله تعالى - :

وَقُلْ إِنَّ خَيْرَ النَّاسِ بَعْدَ مُحَمَّدٍ
وَرَأبِعُهُمْ خَيْرُ الْبَرِيَّةِ بَعْدَهُمْ
وَأُولَئِكَ هُمُ الرَّهْطُ لَا رَيْبَ فِيهِمْ
سَعِيدٌ وَسَعْدٌ وَابْنُ عَوْفٍ وَطَلْحَةُ
وَقُلْ خَيْرَ قَوْلٍ فِي الصَّحَابَةِ كُلِّهِمْ
فَقَرَنُ نَطَقَ الْوَحْيِ الْمُبِينِ بِفَضْلِهِمْ

وزيراؤه قريظا ثم عثمان الأرجح
علي حليف الخير بالخير متجع
علي نجب الفرووس في الخلد تسرع
وعامر فهر والزبير الممرح
ولا تك طعانا تعيب وتجرح
وفي الفتح آي في الصحابة تمرح

الشرح:

هذه الأبيات أيضا التعليق عليها من وجوه:

* الأول:

قوله: "وَقُلْ" أيها السني المتمسك بحبل الله، وسُنن رسوله - صلى الله عليه وسلم -: "إِنَّ خَيْرَ

النَّاسِ بَعْدَ مُحَمَّدٍ وَزِيرَاهُ قِدْمًا"

الوزير: من يؤازرك، ويعينك، ويتحمل عنك بعض ثقل عملك؛ ﴿وَأَجْعَلْ لِي وَزِيرًا مِّنْ أَهْلِي﴾

هَرُونَ أَخِي ﴿٣٠﴾ أَشَدَّ بِهِ أَرْزَى ﴿٣١﴾ وَأَشْرَكَهُ فِي أَمْرِي ﴿٣٢﴾ طه: ٢٩ - ٣٢

سيرات الأنبياء

وقوله: "وَزِيرَاهُ قِدْمًا"

إشارةً منه إلى الشيخين: أبي بكرٍ وعمر - رضي الله تعالى عنهما -، وقد بوب الإمام الآجري - رحمه الله - في الشريعة بابًا قائلاً: "بَابُ إِخْبَارِ النَّبِيِّ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - أَنْ أَبَا بَكْرٍ وَعُمَرُ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا - وَزِيرَاهُ وَأَمِينَاهُ مِنْ أَهْلِ الْأَرْضِ"، ثمّة أحاديث في ذكر هذا الباب لكنها لا تصح.

قال: "ثُمَّ عَثْمَانُ الْأَرْجَحُ"

أي: ثالث الخلفاء الراشدين هو عثمان بن عفان ذو النورين عثمان - رضي الله عنه - على الأرجح؛ كأنه يشير بهذه اللفظة إلى الخلاف الذي وقع ابتداءً في مسألة تقديم عثمان على علي، أو عليّ على عثمان، وسترده الإشارة إلى هذا بحول الله.

قوله: "وَإِنَّهُمْ وَالرَّهْطُ"

هذا الأضبط في البيت: "وَإِنَّهُمْ وَالرَّهْطُ"، قرأ القارئ: "لَا الرَّهْطُ"، هي بالواو في أكثر نسخه، "وَإِنَّهُمْ": الضمير راجعٌ إلى الخلفاء الأربعة؛ لأنه قال بعد ذلك: "وَرَابِعُهُمْ خَيْرُ الْبَرِيَّةِ بَعْدَهُمْ عَلِيٌّ" ثم قال: "وَإِنَّهُمْ وَالرَّهْطُ" فالضمير "وَإِنَّهُمْ": راجع إلى الخلفاء الأربعة - رضي الله عنهم - "وَالرَّهْطُ": إلى من بعدهم؛ وهم الستة ممن ذكّر: "سَعِيدٌ وَسَعْدٌ" فيكون مجموعهم عشرة؛ وهم العشرة المبشرين بالجنة - رضي الله عنهم وأرضاهم -.

"عَلَى نَجْبِ الْفِرْدَوْسِ فِي الْخُلْدِ تَسْرَحُ"

"نَجْبُ" النجب: هو النفيس من المال؛ من خيلٍ أو نوقٍ ونحو ذلك.

سيرات النبيا

"سَعِيدٌ" هو سعيد بن زيد بن عمرو بن نُفَيْلٍ.

"وَسَعْدٌ" هو ابن أبي وقاص.

"وَأَبْنُ عَوْفٍ" هو عبد الرحمن.

"وَطَلْحَةُ" هو ابن عبيد الله.

"وَعَامِرٌ" هو أبو عبيدة بن الجراح؛ قال: "وَعَامِرٌ فَهْرٌ" أي: يجتمع أبو عبيدة - رضي الله عنه -

نسبه مع النبي - صلى الله عليه وسلم - في فهر.

"وَالزُّبَيْرُ" والزبير هو ابن العوام.

ثم هناك قال:

"وَقُلْ خَيْرَ قَوْلٍ فِي الصَّحَابَةِ كُلِّهِمْ *** وَنَا تَكُ طَعَانًا تَعِيبٌ وَتَجْرَحُ"

"طَعَانًا": فَعَّالٌ؛ أي: كثير الطعن.

"وَفِي الْفَتْحِ": إشارة منه إلى آية سورة الفتح كما سيرد؛ فهي آيةٌ تمدح وتثني عليهم أجمعين -

رضوان الله عليهم -.

* الوجه الثاني:

هذه الآيات التي قرئت متعلقة ببيان اعتقاد أهل السنة والجماعة في الصحابة - رضوان الله

تعالى عليهم أجمعين -؛ وعليه:

سيرات الأنبياء

اعلم أن الصحابة - رضي الله عنهم - فضلهم ثابتٌ بالكتاب والسنة والإجماع؛ أن فضل الصحابة ثابتٌ بالكتاب، والسنة، والإجماع؛ والنصوص كثيرة:

من ذلك: آية الفتح التي أشار إليها الناظم؛ وهي قوله - جل وعلا -: ﴿مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ تَرَاهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِمْ مِنْ أَثَرِ السُّجُودِ ذَلِكَ مَثَلُهُمْ فِي التَّوْرَةِ وَمَثَلُهُمْ فِي الْإِنْجِيلِ كَرَّعًا أَخْرَجَ شَطْرَهُ فَكَارَهُ فَاسْتَعَاظَ فَأَسْتَوَى عَلَى سُوْقِهِ يُعْجِبُ الزُّرَّاعَ لِيغِيظَ بِهِمُ الْكُفَّارَ وَعَدَّ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنْهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا ﴿٢٩﴾ الفتح: ٢٩، فهذه الآية دلالتها ظاهرة على فضل ومدح أصحاب رسول الله - صلى الله عليه وسلم - أجمعين.

وفي قول الله - تعالى - في سورة التوبة: ﴿وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ أُولَئِكَ مِنْ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُمْ بِإِحْسَانٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴿١٠٠﴾ التوبة: ١٠٠؛ هذه الآية دليلٌ على بيان فضلهم، وما أعدّه الله - عز وجل - لهم، ومن أعظم نعمه - سبحانه وتعالى - عليهم أن رضي عنهم.

ويقول - جل وعلا - كما في سورة الحديد: ﴿وَمَا لَكُمْ أَلَّا تُنْفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلِلَّهِ مِيرَاثُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ لَا يَسْتَوِي مِنْكُمْ مَنْ أَنْفَقَ مِنْ قَبْلِ الْفَتْحِ وَقَتْلَ أَوْلِيَّكَ أَعْظَمَ دَرَجَةً مِنَ الَّذِينَ أَنْفَقُوا مِنْ بَعْدِ وَقَتْلَوْا وَكَلَّا وَعَدَّ اللَّهُ الْحُسْنَى وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿١٠﴾ الحديد: ١٠؛ هذه الآية المباركة هي أيضًا بيان فضلهم وتفاضلهم - رضوان الله تعالى عليهم أجمعين -.

وفي الصحيحين قال -عليه الصلاة والسلام-: «لَا تَسُبُّوا أَصْحَابِي، فَلَوْ أَنَّ أَحَدَكُمْ أَنْفَقَ مِثْلَ أُحُدٍ ذَهَبًا مَا بَلَغَ مُدَّ أَحَدِهِمْ وَلَا نَصِيفَهُ».

وفي الصحيحين أيضًا قال -عليه الصلاة والسلام-: «خَيْرُ النَّاسِ قَرْنِي ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ ثُمَّ يَجِيءُ أَقْوَامٌ تَسْبِقُ شَهَادَةُ أَحَدِهِمْ يَمِينَهُ وَيَمِينُهُ شَهَادَتُهُ»، قال إبراهيم الراوي للحديث عن عبد الله عن عبيدة الراوي عن عبد الله بن مسعود، قال إبراهيم: "وَكَانُوا يَضْرِبُونَنَا عَلَى الشَّهَادَةِ وَالْعَهْدِ".

وفي الصحيح عند مسلم قال -عليه الصلاة والسلام- لما سأله رجلٌ: «سَأَلَ رَجُلٌ النَّبِيَّ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - أَيُّ النَّاسِ خَيْرٌ؟ قَالَ: الْقَرْنُ الَّذِي أَنَا فِيهِ، ثُمَّ الثَّانِي، ثُمَّ الثَّلَاثُ».

والأحاديث في فضائل أصحاب رسول الله -صلى الله عليه وسلم- كثيرة، وألف جماعة من أهل العلم مؤلفات خاصة في فضائلهم -رضوان الله تعالى عليهم أجمعين-؛ ولا تكاد تجد رسالة في اعتقاد أهل السنة والجماعة مطولة أو مختصرة إلا وتذكر هذه المسألة المتعلقة ببيان منزلة ومكانة أصحاب رسول الله -صلى الله عليه وسلم-.

لماذا تُذكر في المطولات والمختصرات كمثل هذه الرسالة اللطيفة التي معنا؟

لأمرين اثنين؛ تذكر هذه المسألة لأمرين اثنين:

◀ الأمر الأول: بيان أن التنصيب على هذه المناقب والفضائل واعتقادها هي طريقة سلف الأمة الصالح ممن جاء بعد الصحابة، وأنها الطريقة المرصية المتبعة، فمن رغب الخروج عنها فقد شاق سبيل المؤمنين، وخالف طريقتهم.

◀ والأمر الثاني: التحذير من مخالفة هذا الاعتقاد؛ لأنه لم يخالف فيه إلا أهل الغواية والضلالة من الروافض والخوارج ومن تأثر بهم؛ فقد يركب المرء إحدى تلك الضلالات وهو لا يشعر؛ فلذا يجب الحذر.

نقف عند الوجه الثالث فيما يتعلق بترجيح تقديم عثمان على عليّ -رضي الله تعالى عنه-.
وصلى الله وسلم على نبينا محمدٍ واله وصحبه.



وصلى الله على رسول الله وعلى آله وصحبه أجمعين.

وللاستماع إلى الدروس المباشرة والمسجلة والمزيد من الصوتيات يُرجى زيارة موقع ميراث الأنبياء على الرابط

www.miraath.net



ميراث الأنبياء

وجزاكم الله خيرا.

ميراث الأنبياء